شكوى وعتاب

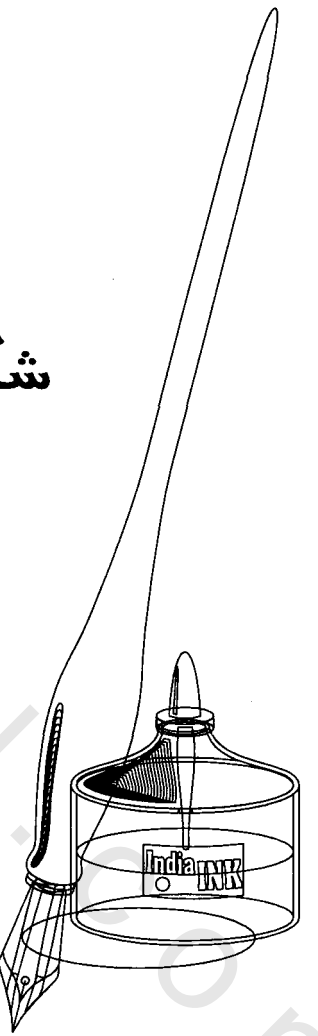

obeikandl.com

obeikandl.com

[73] [مجزوء الرمل]

بعث ابن زيدون بهذه القصيدة من سجنه يخاطب الوزير أبا حفص بن برد.

مَـا عَـلـى ظَـنّـيَ بَـاسُ يَـجْـرَحُ الـدّهْـرُ وَيَـاسُـو[1]

رُبّـمَـا أشْـرَفَ بِـالـمَـرْ ءِ عَـلـى الآمَـالِ يَـاسُ[2]

وَلَـقَـدْ يُـنْـجِـيـكَ إغْـفَـا لٌ وَيُـرْدِيـكَ احْـتِـرَاسُ[3]

وَالـمَـحَـاذِيـرُ سِـهَـامٌ؛ وَالـمَـقَـادِيـرُ قِـيَـاسُ[4]

وَلَـكَـمْ أجْـدَى قُـعُـودٌ؛ وَلَـكَـمْ أكْـدَى الـتِـمَـاسُ[5]

وَكَـذَا الـدّهْـرُ إذَا مَـا عَـزّ نَـاسٌ ذَلّ نَـاسُ[6]

وَبَـنُـو الأيّـامِ أخْـيَـا فٌ: سَـرَاةٌ وَخِـسَـاسُ[7]

نَـلْـبَـسُ الـدّنْـيَـا وَلَـكِـنْ مُـتْـعَـةٌ ذَاكَ الـلّـبَـاسُ[8]

---

(1) **باس**: بأس، حرج. **ياسو**: يأسو، يداوي.

(2) **ياس**: يأس؛ قنوط.

(3) **إغفالٌ**: غفلة. **يرديك**: يوقعك في المهالك. فالمقادير بيد خالقها، فكم سقط حَذِرٌ، وكم نجى غافلٌ!!

(4) **سهام**: أي: سهام صائبة. **قياس**: جمع قوس.

(5) **أجدى**: نفع.

(6) **أكدى**: أبعد وأفشل. فليس السعي والقعود إلا أشكال، والمقادير لا يردها شيء، وما قدر فهو كائن، ومن المقدور لا ينجي الحذِرُ. وإذا وقع القدر عمي البصر.

(7) **أخياف**: مختلفون، وأنواع. **سراة**: سادة وشرفاء. **خساس**: أراذل ناقصون.

(8) هنا اقتباس من الآية: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

يـا أبـا حَـفْـصٍ وَمَـا سـا واكَ فـي فَـهْـمٍ إيَـاسُ[1]

مِـنْ سَـنَـا رَأيِـكَ لـي فـي غَـسَـقِ الـخَـطـبِ اقتباسُ[2]

وَوِدادي لَـكَ نَـصٌّ لَـمْ يُـخـالِـفْـهُ قِـيَـاسُ[3]

أنَـا حَـيْـرَانُ وَلِـلأمْـ ـرِ وُضُـوحٌ وَالـتِـبَـاسُ

مَـا تَـرَى فـي مَـعْـشَـرٍ حـا لـوا عَـنِ الـعَـهـدِ وَخـاسُـوا[4]

وَرَأوْنـي سَـامِـريّـاً يُـتَّـقَـى مِـنْـهُ الـمَـسَـاسُ[5]

أذْؤبٌ هَـامَـتْ بِـلَـحْـمـي فـانْـتِـهَـاشٌ وَانْـتِـهَـاسُ[6]

كُـلّـهُـمْ يَـسْـألُ عَـن حـا لـي وَلِـلـذّئـبِ اعْـتِـسَـاسُ[7]

إنْ قَـسَـا الـدّهْـرُ فَـلِـلْـمَـا ءِ مِـنَ الـصّـخْـرِ انْـبِـجَـاسُ[8]

---

(1) **إياس**: هو إياس بن معاوية المزني، ولي القضاء زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو مضرب المثل في الذكاء والفطنة والعدالة.

(2) **سنا**: نور وضوء. **غسق**: ظلمة. **اقتباس**: اهتداء واستدلال.

(3) **نص**: أي محكم. **قياس**: استدلال. والنص لا يخالفه قياس؛ لأنه أدنى منه مرتبة.

(4) **خاسوا**: خانوا ونقضوا.

(5) **السامري**: أحد وجهاء بني إسرائيل؛ كان قد عبد العجل فعوقب بأنه لا يمسه أحد إلا حمَّ، فكان يقول: لا مساس؛ كما في الآية: ﴿... لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ...﴾ [طه: 97].

(6) **أذؤب**: ذئاب. انتهاش بالأضراس، وانتهاس بالأسنان.

(7) **اعتساس**: طلب الصيد ليلاً خفية؛ وكأن أعداء الشاعر ذئاب؛ يخرجون ليلاً ويصطادون خفية وسرقة؛ ويتجسسون عليه.

(8) **انبجاس**: انفجار ونبع الماء؛ وإن من الحجارة لما يتفجر... فيخرج منه الماء.

وَلَئِنْ أمسَيْتُ مَحبُوسـ ـاً فَلِلْغَيْثِ احْتِبَاسُ[1]
يَلْبُدُ الوَرْدُ السَّبَنْتَى وَلَهُ بَعْدُ افْتِرَاسُ[2]
فَتَأمّلْ! كَيْفَ يَغْشَى مُقْلَةَ المَجدِ النّعاسُ؟[3]
وَيُفَتّ المِسكُ في التُّرْ بِ فَيُوطَا وَيُدَاسُ؟[4]
لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْداً! إنّ عَهْدِي لَكَ آسُ[5]
وأدِرْ ذِكْرِيَ كَأساً ما امتَطَتْ كَفَّكَ كاسُ[6]
وَاغْتَنِمَ صَفْوَ اللّيَالي؛ إنّمَا العَيْشُ اخْتِلاسُ[7]
وَعَسَى أنْ يَسمحَ الدّهـ ـرُ فَقَدْ طَالَ الشِّمَاسُ[8]

(1) **احتباس**: منع من نزول الغيث.
(2) **يلبد**: لا يتحرك. **الورد**: من أسماء الأسد. **السبتى**: القوي الجريء، شبه نفسه بالأسد إذ يبقى في عرينه، فكذا شاعرنا في حبسه.
(3) **يغشى**: يعطي.
(4) **يُفَتُّ**: يجزّأ. **في الترب**: في التراب. **فيوطا**: فيوطأ.
(5) **الورد**: سريع الذبول. **والآس**: دائم، مستمر.
(6) **امتطت**: علت. **كاس**: كأس.
(7) **الاختلاس**: الأخذ على حين غفلة.
(8) **الشماس**: الامتناع.

obeikandl.com

[74]

قال هذه الأبيات بعد فراره من السجن وإقامته بقرطبة متوارياً، وهو يخاطب بها ولادة ويستشفع الأديب أبا بكر إلى أبي الحزم بن جهور ويتظلم من حساده وأعدائه.

شَحَطنا ومَا بالدّارِ نأيٌ وَلا شَحْطُ ... وَشَطّ بمَنْ نَهوَى المَزَارُ وَما شطّوا[1]

أأحبابَنا! ألْوَتْ بِحادِثِ عَهْدِنَا ... حَوَادِثُ لا عَقدٌ عَلَيها وَلا شَرْطُ[2]

لَعَمرُكُمُ إنّ الزّمانَ الذي قضَى ... بِشَتّ جَميعِ الشّملِ منّا لمُشْتَطّ[3]

وَأمّا الكَرَى مُذ لم أزُرْكُمْ فهاجرٌ ... زِيارَتُه غِبٌّ وَإلمَامهُ فَرْط[4]

وَمَا شَوْقُ مَقتولِ الجَوَانحِ بالصّدى ... إلى نُطْفَةٍ زَرْقاء أضْمَرَها وَقْط[5]

بأبرَحَ مِنْ شَوْقي إليكمْ ودَون ما ... أُديرُ المُنى عَنهُ القَتادَةُ وَالخَرْط[6]

وَفي الرَّبْرَبِ الإنْسِيّ أحْوَى كناسُه ... نَوَاحي ضَميرِي لا الكثيبُ وَلا السِّقط[7]

غَرِيبُ فُنونِ الحُسنِ يَرْتاحُ دِرعُهُ ... متى ضَاقَ ذَرْعاً بالذي حازَه المِرْط[8]

---

(1) **شحطت**: شطت: نأت وبعدت. **شط المزار**: بعدت الديار.

(2) **ألوت**: ذهبت. **العقد**: العهد والذمة.

(3) **شت الشمل**: تشتت وتفرق. **لمشتط**: جائر.

(4) **زيارته غب**: قليلة نادرة. **إلمامه**: زيارته. **فرط**: بعد غياب لا يستقر.

(5) **الجوانح**: أضلاع الصدر. **الصدى**: العطش. **نقطة**: ماء. **وقط**: حفرة في صخرة.

(6) **بأبرح**: بأشد وأقسى. **القتادة**: شجر له شوك. **خرط القتادة**: انتزاع قشرتها وفي المثل (دونها خرط القتاد).

(7) **الربرب**: السرب من الظباء. **أحوى**: في شفته حمرة وسواد. **كناسه**: بيته. **الكثيب**: التل من الرمال. **السقط**: الرقيق من الرمل.

(8) **درعه**: قميصه. **المرط**: كساء؛ يؤتزر به.

كـأنّ فُـؤادي يَـوْمَ أهـوَى مُـوَدِّعـاً هَوَى خافقاً منه بحَيث هوَى القرْط[1]

إذا مـا كـتـابُ الـوَجـدِ أشـكَـلَ سَـطْـرُه فمنْ زَفرَتي شكلٌ وَمن عَبرَتي نَقط[2]

ألا هَـلْ أتَـى الـفِـتْـيـانَ أنّ فَـتَـاهُـمُ فَرِيسةُ مَن يَعدو وَنُهزَةُ من يسطو[3]

وَأنّ الـجَـوَادَ الـفـائِـتَ الـشّـأوِ صَـافِـنٌ تَـخَـوّنَـهُ شـكـلٌ وَأزْرَى بـه رَبْـطُ[4]

وَأنّ الـحُـسـامَ الـعَـضْـبَ ثَـاوٍ بـجَـفْـنِـهِ وَمَـا ذُمّ مِـنْ غَـرْبَـيْـهِ قَـدٌّ وَلا قَـطّ[5]

عَـلَـيـكَ أبـا بَـكْـرٍ بَـكَـرْتُ بـهِـمّـةٍ لها الخَطَرُ العالي وَإنْ نالَها حَطّ[6]

أبي بَعدَما هِيلَ التّرَابُ على أبي وَرَهطيَ فَذّاً حينَ لم يَبقَ لي رَهْطُ[7]

لكَ النّعمةُ الخضراء تَندى ظلالُها عليّ وَلا جَحدٌ لَدَيّ وَلا غَمْطُ[8]

وَلَـوْلاكَ لـم تُـثْـقَـبْ زِنـادُ قَـرِيـحَـتي فيَنْتَهِبَ الظّلْماءَ من نارِها سِقْطُ[9]

---

(1) **القرط**: ما يعلق في شحمة الأذن.

(2) **أشكل**: صَعُبَ واختلط. **زفرتي**: صوت نفسي؛ أو تنفسي. **عبرتي**: دموعي. فكأن الحزن أخذ منه كل مأخذ؛ وكأنه تنفّسه تشكيل الكلمات، ودموعه نقط وتبيان . . . وكل هذا مجاز وتورية وصور بيانية رائعة.

(3) **الفتيان**: أهل قرطبة. **نهزة من يسطو**: صيد من يتصيد ويسيطر.

(4) **الشأو**: الغاية. **صافن**: من يقف على قوائم ثلاثة. **تخونه**: تنقصه. **شكل**: ربط القوائم. **أزرى**: أهان.

(5) **الحسام العضب**: السيف القاطع. **ثاوٍ**: مقيم. **جفنه**: غمده. **غربيه**: حدّيه. **قدٌّ**: قطعٌ. **قط**: القطع عرضاً.

(6) **بكرت**: شددت إليك السفر باكراً. **حط**: نزول وانحطاط.

(7) **أبي**: كأنك بمثابة أبي بعد موت أبي. **رهطي**: قومي.

(8) **الغمط**: إنكار النعمة.

(9) في المطبوع (تَثْقُبْ) والصواب: (تُثْقَبْ) بالبناء للمجهول. **زناد**: الزند: عود تقدح به النار. **سقط**: ما سقط بين الزندين قبيل استحكام إيقاد النار. **لم تثقب**: لم تظهر=

وَلا أَلْفَتْ أيدي الرّبيعِ بَدائِعي فَمِنْ خاطِرِي نَثْرٌ وَمن زَهرِهِ لَقطُ[1]

هَرِمْتُ وَما للشّيبِ وَخْطٌ بمَفرَقي وكائنْ لشَيبِ الهَمّ في كبدي وَخطُ[2]

وَطَاوَلَ سوءُ الحالِ نفسِي فأذكرَتْ من الرّوْضَةِ الغَنّاء طاوَلهَا القَحطُ[3]

مِئونَ مِنَ الأيّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُها أسِيراً وَإنْ لم يَبدُ شَدٌّ وَلا قَمطُ[4]

أتَتْ بي كما مِيصَ الإناءُ من الأذى وَأذهَبَ ما بالثّوْبِ مِن درَنٍ مَسْطُ[5]

أتَدْنُو قُطُوفُ الجَنّتَينِ لمَعْشَرٍ وَغايَتيَ السِّدْرُ القَليلُ أوِ الخَمْطُ[6]

وَمَا كانَ ظَنّي أنْ تَغُرّنَي المُنى وَللغِرّ في العَشْواء مِنْ ظَنّهِ خَبْطُ[7]

أما وَأرَتْني النّجمَ مَوْطِىءَ أخمَصِي لقد أوْطأتْ خَدّي لأخمص من يخطو[8]

وَمُسْتَبطَإٍ العُتْبَى إذا قلتُ قد أنَى رِضَاه تمادى العَتبُ وَاتّصَلَ السّخط[9]

= نارها. فأنت سبب شهرتي، وفتق قريحتي.

(1) **فمن خاطري**: من أفكاري. **لقط**: ما يلتقط.

(2) **وخط**: انتشار وظهور. **وكائن**: وصار. لكن الهم هو الذي سبب المشيب في كبدي.

(3) **القحط**: اليبس، أو قلة الماء، وهنا: طول الهجر وعدم اللقاء.

(4) **مئون**: جمع (مائة). **شد ولا قمط**: أو ربط الأيدي والأرجل حال الأسر؛ ولم يظهر للرائي، لكن كمن شد عليه وثاقه؛ فلا حيلة لي.

(5) **ميص**: غسل. **مسط**: نقع الثوب وتحريكه وغسله. **والدرن**: الوسخ.

(6) **السدر**: النبق. **الخمط**: نبت مر. وهنا اقتباس من الآية ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16].

(7) **الغر**: قليل التجارب. **العشواء**: ظلمة الليل. **خبط**: سير دون تمكن ولا معرفة.

(8) [**موطِىءَ**]: مكان ما لم يطأ. **أخمص**: أسفل القدم وباطنه.

(9) **أنى**: حان. **تمادى**: استمر وازداد.

وَمَا زَالَ يُدْنِيني وَيُنْئِي قَبُولَه ... هَوًى سَرَفٌ منه وَصَاغِيَةٌ فَرْط[1]

وَنَظْمُ ثَنَاءٍ في نِظَامِ وِلايَةٍ ... تَحَلّتْ بِهِ الدّنيا لآلِئُه وَسْط[2]

على خَصْرِها مِنْه وِشاحٌ مُفَصَّلٌ ؛ ... وَفي رَأْسِها تاجٌ وَفي جِيدِها سِمط[3]

عَدا سَمعَه عني وَأصغى إلى عدًى ... لهم في أديمي كُلّما استَمكنوا عَطّ[4]

بَلَغتُ المَدى إذ قَصّروا فقلوبهمْ ... مكامِنُ أضْغانٍ أساودُها رُقْط[5]

يُوَلّونَني عُرْضَ الكَرَاهَةِ وَالقِلى ... وَما دَهرُهمْ إلّا النّفاسَةُ وَالغَمْطُ[6]

وَقَدْ وَسَمُوني بالّتي لَستُ أهْلَها ... وَلَمْ يُمْنَ أمْثالي بِأمثَالِها قَطّ[7]

فَرَرْتُ فإنْ قالوا الفِرَارُ إرَابَةٌ ... فَقد فَرّ مُوسَى حينَ هَمّ بِهِ القِبْطُ[8]

وَإنّي لَرَاجٍ أنْ تَعُودَ كَبدئِها ... ليَ الشّيمَةُ الزّهرَاءُ والخُلُقُ السبطُ[9]

وَحِلمُ امرِىء تَعفُو الذّنوبُ لعَفوِه ... وَتُمحَى الخَطايا مثلَما مُحيَ الخطّ[10]

---

(1) **ينيء**: يُبعد. **صاغية**: ميلٌ، أو سمعٌ.

(2) **لآلئه**: جمع لؤلؤ. **وَسْطٌ**: نفيسة.

(3) **وشاح**: لباس زينة وفخر. **جِيدها**: عنقها. **سمط**: خيط نظم، أو قلادة.

(4) **عدا**: صرف. **عدىً**: أعداء. **أديمي**: جلدي. **عط**: شق وتمزيق؛ أي: في الغيبة والبهتان عليَّ.

(5) **أساود**: حيات. **رقط**: رقطاء؛ فيها سواد وبياض. **أضغان**: أحقاد.

(6) **القلى**: الهجر. **النفاسة**: البخل. **الغمط**: إنكار الحق، وعدم الشكر.

(7) **وسموني**: وصفوني. **ولم يمن**: ولم يختبر ويمتحن.

(8) **إرابة**: ريبة وخوف ومنقصة. **القبط**: قوم مصر في عصر موسى عليه السلام؛ ففر منهم خوفاً.

(9) **السبط**: السهل.

(10) **تعفو**: تمحى. **مُحِيَ الخط**: أزيلت الكتابة.

فَـمـا لـكَ لا تَـخْـتَـصّـنـي بِـشَـفَـاعَـةٍ يَلُوحُ عَلى دَهْرِي لِمِيسَمِها عَلْطُ[1]
يَـفـي بِـنَـسـيـمِ الـعَـنْـبَـرِ الـوَرْدِ نَـفْـحُـهـا إذا شَعشَعَ المِسكَ الأحَمَّ به خَلْطُ[2]
فإنْ يُسعِفِ المَوْلى فنُعمَى هَنِيئَةٌ تُنَفِّسُ عَنْ نَفْسٍ أَلَظّ بها ضَغْطُ[3]
وَإنْ يَأبَ إلّا قَبْضَ مَبسوطِ فَضْلِه ففي يدِ مولًى فَوْقَه القَبضُ وَالبَسطُ[4]

[75] [الطويل]

بَـنَـيْـتَ فـلا تَـهـدِمْ وَرِشـتَ فـلا تَـبـرِ؛ وَأمرَضْتَ حسّادي وَحاشاك أن تُبرِي[5]
أرَى نَـبـوَةً لـم أدرِ سِـرّ اعـتِـرَاضِـهـا؛ وَقد كان يَجلو عارِضَ الهـمّ أن أدرِي[6]
جَـفَـاءٌ هُـوَ الـلّـيـلُ ادْلَـهَـمّ ظَـلامُـه فَلا كَوْكَبٌ للعُذْرِ في أُفْقِه يَسرِي[7]
هَبِ العَزْلَ أضْحَى للوِلايَةِ غايَةً؛ فما غايةُ المُوفي منَ الظّلّ أن يُكرِي[8]
فَـفِـيـمَ أرَى رَدّ الـسّـلامِ إشَـارَةً تُسَوِّغُ بي إزْرَاءَ مَنْ شاء أن يُزْرِي[9]

---

(1) **ميسمها**: علامتها. **عَلْطُ**: الوسم في العنق - عرضاً -.
(2) **الأحم**: الأفضل والأطيب ريحاً.
(3) **تنفّس**: تفرّج. **ألظ بها**: لازمها ولصق بها. **ضغط**: قهر، وضيق وشدة.
(4) **مبسوط فضله**: ما يجود به. **ففي يد مولًى فوقه**: أي: في يد الله القبض والبسط، والمنع والعطاء، وفي هذا البيت التفات إلى توحيد الله والاعتماد عليه مطلقاً.
(5) **رِشت**: كسوت. **لا تبرِ**: لا تضعف. **تبري**: تشفي.
(6) **نبوة**: جفوة.
(7) **جفاءٌ هو الليل**: جفوة كأنها دليل مظلم.
(8) **هب**: افترضْ واجعل. **يكري**: ينقص.
(9) **إزراء**: تحقير.

أُنَاسٌ هُمُ أخشَى لِلَذْعَةِ مِقْوَلي إذا لم يكُنْ مِمّا فَعَلْتَ لهمْ مُضْرِ[1]

فإن عاقَتِ الأقدارُ فالنّفسُ حُرّةٌ؛ وَإنْ تَكُنِ العُتْبَى فأحرِ بها أحرِ![2]

[76] [المتقارب]

يعاتب الوزير ابن عبدوس مزاحمته في حب ولادة بنت المستكفي:

أثَرْتَ هِزَبْرَ الشّرَى إذْ رَبَضْ وَنَبّهْتَهُ إذْ هَدَا فاغْتَمَضْ[3]

وَمَا زِلْتَ تَبْسُطُ مُسْتَرْسِلاً إلَيْهِ يَدَ البَغْيِ لَمّا انْقَبَضْ

حَذَارِ حَذَارِ فَإنّ الكَرِيمَ إذا سِيمَ خَسفاً أبَى فامتَعَضْ[4]

فإنّ سُكُونَ الشّجاعِ النَّهُوسِ لَيْسَ بِمَانِعِهِ أنْ يَعَضّ[5]

وَإنّ الكَوَاكِبَ لا تُسْتَزَلّ؛ وَإنّ المَقَادِيرَ لا تُعْتَرَضْ[6]

إذا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاعٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الحَفَضْ[7]

---

(1) **لذعة مقولي**: قوة لساني وحجتي. **مضر**: مغري، ودافع.

(2) **أحر**: من أحرى: أولى. **حري**: من أفعال الرجاء، تعمل عمل كان.

(3) **هزبر**: أسد. **الشرى**: موضع تكثر فيه الأُسْدُ. **اغتمض**: أغمض عينيه.

(4) **حذارِ**: اسم فعل أمر، أصله (احذر)؛ فاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنت). **سيم خسفاً**: ناله مكروه أو ذِلّةٌ. **امتعض**: غضب.

(5) **الشجاع النهوس**: الحية - الثعبان العضوض.

(6) **لا تستزل**: لا تُزال عن مكانتها لعلوها ورفعتها. **المقادير**: المقدرات كائنة لا محالة.

(7) **رِيغَ**: مُكِرَ به أو خُدِعَ. **فليقتصد**: فليخفف. **مساعٍ**: جمع مسعى. **الحفض**: الجمل الضعيف.

وَهَـلْ وَارِدُ الـغَـمْـرِ مِـنْ عِـدّهِ يُـقَـاسُ بِـهِ مُـسْـتَـشِـفُّ الـبَـرَضْ؟ (1)

إذَا الـشّـمْـسُ قَـابَـلْـتَـهَـا أرْمَـداً فَـحَـظُّ جُـفُـونِـكَ فـي أنْ تُـغَـضّ (2)

أرَى كُـلّ مُـجْـرٍ أبَـا عَـامِـرٍ يُـسَـرّ إذا فـي خَـلاءٍ رَكَـضْ (3)

أُعِـيـذُكَ مِـنْ أنْ تَـرَى مِـنْـزَعـي إذا وَتَـرِي بِـالـمَـنَـايَـا انْـقَـبَـضْ (4)

فـإنّـنـي أَلِـيـنُ لِـمَـنْ لانَ لـي وَأتْـرُكُ مَـنْ رَامَ قَـسْـرِي حَـرَضْ (5)

وَكَـمْ حَـرّكَ الـعُـجْـبُ مِـنْ حَـائِـنٍ فَـغَـادَرْتُـهُ مَـا بِـهِ مِـنْ حَـبَـضْ (6)

أبَـا عَـامِـرٍ أيْـنَ ذَاكَ الـوَفَـاءُ إذِ الدّهرُ وَسْنانُ وَالعَيشُ غَضّ؟ (7)

وَأيـنَ الـذِي كُـنْـتَ تَـعْـتَـدّ مِـنْ مُـصَـادَقَـتي الوَاجِبَ الـمُـفْـتَـرَضْ؟ (8)

تَـشُـوبُ وَأمْـحَـضُ مُـسْـتَـبْـقِـيـاً ؛ وَهَـيـهاتَ مَنْ شَابَ ممّنْ مَحضْ! (9)

---

(1) **الغمر**: الكثير المياه. **عِدّه**: منبعه. **مستشف**: شارب آخر الإناء. **البرض**: القليل الباقي.

(2) **قابلتها أرمداً**: واجهت أشعتها وأنت أرمد - مصاب بالرمد -. **تُغض**: تغمض؛ فلا تقوى على مواجهة شعاع الشمس.

(3) **أبا عامر**: كنيته الثعلب، وفي هذا غمز لابن عبدوس، خصم شاعرنا.

(4) **منزعي**: سهمي. **المنايا**: المهالك والدواهي فلا يغرنك سكوني أو هدوئي؛ فلست بعاجز عنك.

(5) **رام قسري**: أراد قهري. **حرض**: حرضاً: ضعيفاً، وترك الألف للروي.

(6) **حائن**: متحين الفرص لينقضّ. **حبض**: حراك.

(7) **أبا عامر**: أي يا أبا عامر. **وسنان**: نعسان، غافل، هادىء، مستقر. **غض**: كثير الخير.

(8) الواجب المفروض أن تفي بعهدك، وتكون خلاً وفياً، لا خائناً غوياً.

(9) **تشوب**: تخلط وترائي وتخون. **أمحض**: أخلص لك. **هيهات**: بَعُدَ؛ اسم فعل ماضٍ؛ فالفرق شاسع البين.

أَبِنْ لي أَلَمْ أَضْطَلِعْ ناهِضاً بِأَعْباءِ بِرِّكَ فِيمَنْ نَهَضْ؟[1]

أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدَبي نَفْحَةً حَسِبْتَ بِهَا المِسْكَ طِيباً يُفَضّ؟[2]

أَلَمْ تَكُ مِنْ شِيمَتي غَادِياً إلى تُرَعٍ ضَاحَكَتْها فُرَضْ؟[3]

وَلَوْلا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتْ لِحالَيْكَ: مِنْ صِحّةٍ أَوْ مَرَضْ

وَلا عَادَني مِنْ وَفَاءٍ سُرُورٌ؛ وَلا نَالَني لِجَفَاءٍ مَضَضْ[4]

يَعِزّ اعْتِصَارُ الفَتى وَارِداً إذا البَارِدُ العَذْبُ أَهْدَى الجَرَضْ[5]

عَمَدْتَ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَّئِبْ تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالعَرَضْ[6]

أَضَاقَتْ أَسَالِيبُ هَذا القَرِيـ ضِ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَانْقَرَضْ؟[7]

لَعَمْرِي لَفَوَّقْتَ سَهْمَ النِّضَالِ وَأَرْسَلْتَهُ لَوْ أَصَبْتَ الغَرَضْ[8]

---

(1) **أبن لي**: أظهر ما عندك. **أضطلع**: أقوم بذلك على أكمل وجه.

(2) **ألم تنش**: ألم تصبك نشوة.

(3) لقد اتخذت عادتي وكرمي، فانطلقت إلى رحب فسيح. **ضاحكتها فرض**: سخرت من جدول صغير يُستقى من الماء. فمنّي تعلمت، ومن مائي شربت، ثم تعاديني وتحسدني!!

(4) **مضض**: ألم.

(5) لم يبق من مسلك سهل طيب، حتى كاد الماء العذب يكون غصصاً بالريق!!

(6) **ولم تتئبْ**: ولم تستحِ. **الجوهرة**: الجوهر، مقابل العرض. **والجوهر**: الثابت. **والعرض**: الوصف الزائل المتبدل.

(7) **عفا رسمه**: اندثر وباد. **القريض**: الشعر.

(8) **فوقت سهم النضال**: هيأته للضرب، لكنك لن تنال بغيتك.

وَشَمَّرْتَ لِلْخَوْضِ فِي لُجَّةٍ هيَ البَحْرُ سَاحِلُها لَمْ يُخَضْ[1]

وَغَرَّكَ مِنْ عَهْدِ وَلّادَةٍ سَرَابٌ تَرَاءى وَبَرْقٌ وَمَضْ[2]

تَظُنّ الوَفَاءَ بِهَا وَالظُّنُو نُ فِيهَا تَقُولُ عَلى مَنْ فَرَضْ

هيَ المَاءُ يَأبَى عَلى قَابِضٍ وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضْ[3]

وَنُبِّئْتُهَا بَعْدَيَ اسْتُحْمِدَتْ بِسِرّي إلَيْكَ لِمَعْنًى غَمَضْ[4]

أبَا عَامِرٍ! عَثْرَةً فَاسْتَقِلْ لِتُبْرِمَ مِنْ وُدّنَا مَا انْتَقَضْ[5]

وَلا تَعْتَصِمْ ضَلّةً بالحِجَاجِ؛ وَسَيِّمْ فَرُبّ احْتِجاجٍ دُحِضْ[6]

وَإلّا انْتَحَتْكَ جُيُوشُ العِتَابِ مُنَاجِزَةً في قَضِيضٍ وَقَضّ[7]

وَأنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الجُنُو نِ إذا مَا عَرَضْ

كَفِيلٌ بِبَطّ خُرَاجٍ عَسَا؛ جَرِيءٌ عَلى شَقّ عِرْقٍ نَبَضْ[8]

---

(1) **لجة**: ماء مجتمع. **لم يخض**: لم يأته أحد.

(2) **غرّك**: من الغرور، خدعك فاستسهلته؛ لكن ظل سراب لا يدوم. **برق ومض**: برق لمع دونما قطر.

(3) فولادة كالماء، لا يقدر أن يمسكها كف، ولا يستفيد منها أحد. **مخض اللبن**: استخرج زبدته.

(4) **عرفتها**: نبئتها. **غمض**: غامض.

(5) يا أبا عامر، تراجع واعتذر؛ لتعود كما كنت وتجدد عهداً هدمته.

(6) **ضلّة**: ضلالاً وبهتاناً. **الحجاج**: الجدال. **سيّم**: اترك. **دحض**: رُدَّ وصار واهياً.

(7) **انتحتك**: جاءتك. **مناجزة**: محاربة. **قضيض وقض**: مجتمعة، قوية.

(8) **بط خراج**: شق هذه الدملة.

يُبَادِرُ بالكَيّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْعِطُ بالسّمّ لا بِالحُضَضْ (1)

وَأشْعِرْهُ أنّي انْتَخَبْتُ البَدِيلَ؛ وَأعْلِمْهُ أنّي اسْتَجَدْتُ العِوَضْ (2)

فَلا مَشْرَبي لِقِلاهُ أمَرَّ؛ وَلا مَضْجَعي لِنَوَاهُ أقَضّ (3)

وَإنّ يَدَ البَيْنِ مَشْكُورَةٌ لِعَارٍ أمَاطَ وَوَضْمٍ رَحَضْ (4)

وَحَسْبيَ أنّي أطَبْتُ الجَنَى لإبّانِهِ وَأبَحْتُ النّفَضْ (5)

وَيَهْنِيكَ أنّكَ يا سَيّدِي غَدَوْتَ مُقَارِنَ ذاكَ الرّبَضْ (6)

[77] [مأنوس الرمل]

وَدّعَ الصّبْرَ مُحِبٌّ وَدّعَكْ ذائِعٌ مِنْ سِرّهِ مَا اسْتَوْدَعَكْ (7)

يَقْرَعُ السّنَّ عَلى أنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ في تِلْكَ الخُطَا إذْ شَيّعَكْ (8)

---

(1) **الكي**: بالنار، ويكون آخراً، لكن شاعرنا ينبه خصمه أنه إذا استمر في عناده فستكون الطامة عليه ويمزقه دون رحمة. **يسعط بالسم**: يعطيه شماً قاتلاً بالأنف. **الحَضض**: شجر يشبه الفلفل، أي سيكون الدواء السم القاتل لا الدواء.

(2) **العوض**: البديل.

(3) فلم يتعكر صفوي لجفوته، ولم أتألم في نومي وسريري.

(4) والشكر للأيام حيث كشفت ما خبأه من عار وخزي، وقد غسل عن عيني فرأيته حقيقة، وبان وصفه وكيده.

(5) ويكفيني أني قد عريته وأسقطته من حسابي، وتركته عرياناً.

(6) **الربض**: مربض ومأوى الغنم.

(7) **ذائع**: منتشر. **ما استودعك**: ما طلب منه إخفاءه.

(8) **يقرع السن**: يندم على ما فعل. **شيّعك**: ودعك.

يَـا أخَـا الـبَـدْرِ سَـنَـاءً وَسَـنـاً ؛ حَـفِـظَ اللهُ زَمَـانـاً أطْـلَـعَـكْ

إنْ يَـطُـلْ بَـعْـدَكَ لَـيـلـى فَـلَـكـمْ بِتُّ أشكُـو قِـصَـرَ الـلّـيْـلِ مَـعَـكْ! (1)

(1) بت أشكو قِصَر الليل: لأنني في سعادة لا أود تركها.

obeikandl.com